عظة الموت

تحقيق

الشيخ / بكر محمد إبراهيم

دار صلاح الدين للتراث
٧ ش الدواخلى أمام جامعة الأزهر - القاهرة
ت : ٥٨٩٠٨٣٨



مقدمة

الحمد لله خير الأسماء الأول بلا ابتداء والآخر بلا إنتهاء الذى كتب على نفسه الخلود والبقاء ، وعلى غيره العدم والفناء ، رب الأرض والسماء ، منزل الكتب وهازم الأحزاب ، ومقدر البلاء سامع النداء ، مجيب الدعاء ، بيده الشفاء والصلاة والسلام على من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة .

وبعـــــد ...

فإن موعظة الموت هى أبلغ العظات وخبر الموت هو أفظع الأخبار ومصيبته هى المصيبة المصيبة العظمى والطامة الكبرى ، والإنسان المسلم يجب أن لا يغفل عن الموت والآخرة والعرض على الملك الديان وأنه سيحاسب على الكثير والقليل والفتيل والقطمير فالموت قد دق أعناق القياصرة والأكاسرة والجبابرة وهو هازم اللذات ومفرق

الجماعات .

ونسيان الموت يجرأ الإنسان على ارتكاب الموبقات ويورده موارد الردى والهلاك وتذكر الموت بردع الإنسان عن اقتحام المحرمات وارتكاب المنهيات والله تعالى يقول أينما تكونون يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة .

فملك الموت لا تحجبه حجب ولا تمنعه موانع ولا أسوار ولا حوائط ولا جبال ولا أنهار والدنيا بين يديه كالبيضة فى يد أحدنا أو كالقصعة بين أرجلنا .

نسأل الله تعالى أن يحسن خاتمتنا وأن يجرنا من خزى الدنيا وعذاب الأخرة فهو سبحانه خير مسئول وأعظم مأمول وهو حسبنا ونعم الوكيل .

النهى عن تمنى الموت والدعاء به لضر نزل فى المال والجسد

روى مسلم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : "لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لابد متمنيا فليقل : اللهم أحيينى ما كانت الحياة خيراً لى وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى .

وقال البخارى : لا يتمنين أحدكم الموت : إما محسنا فلعله أن يزداد خيراً ، وإما سيئاً فلعله أن يستعتب.

وروى البزار عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد وأن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الإنابة.

قال العلماء : الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بيبنهما ، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار وهو من أعظم المصائب ، وقد سماه الله تعالى مصيبة ، فى قوله : فأصابتكم مصيبة الموت فالموت هو المصيبة العظمى

والرزية الكبرى ، قال علماؤنا : وأعظم منه الغفلة عنه ، والاعراض عن ذكره ، وقلة التفكير فيه ، وترك العمل له وإن فيه وحده لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر ، وفى خبر يروى عن النبى ﷺ : لو أن البهائم تعلم عن الموت ماتعلمون ما أكلتم منها سميناً.

جواز تمنى الموات والدعاء به خوف ذهاب الدين

قال الله عز وجل مخبراً عن يوسف عليه السلام :

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١) ﴾

[سورة يوسف : الآية ١٠١]

وعن مريم عليها السلام فى قولها :

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣) ﴾ [سورة مريم الآية ٢٣]

وعن مالك عن أبى الزناد عن الأعرج ، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى مكانه .

فيوسف عليه السلام تمنى الموافاة على الإسلام ، وأما مريم عليها السلام فإنما تمنت الموت لوجهين : أحدهما : إنها خافت أن يظن بها السوء فى دينها وتعير ، فيفتنها ذلك . والثانى : لئلا يقع قوم بسببها فى البهتان والزور ، والنسبة إلى الزنا ، وذلك مهلك لهم .

وذكر أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد والاستذكار من حديث وزاذان أبى عمر عن عليم الكندى قال : كنت جالساً مع أبى العباس الغفارى على سطح فراء ناساً يتحملون من الطاعون . فقال : يا طاعون خذنى إليك (بقولها ثلاثا) فقال عليم : لم تقول هذا ؟ ألم يقل رسول الله ﷺ : لا يتمنين أحدكم الموت فإنه عند ذلك انقطاع عمله ولا يرد فيستعتب ، فقال أبو العباس : أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول : بادروا بالموت سبعاً إمرة السفهاء، وكثرة الشرط ، وبيع الحكم ، واستخفافا بالدم ، وقطيعة

الرحم ، ونشئًا يتخذون القرآن مزامير ، يقدمون الرجل ليغنيهم بالقرآن وإن كان أقلهم فقها .

ذكر الموت والاستعداد له

روى النسائى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : أكثروا ذكر هازم اللذات يعنى الموت ، وأخرجه ابن ماجة والترمذى أيضاً ، وخرجه أبو نعيم الحافظ باسناده من حديث مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : أكثرو من ذكر هازم اللذات ، قلنا يا رسول الله : وما هازم اللذات ؟ قال : الموت .

وروى ابن ماجة عن ابن عمر أنه قال : كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء رجل من الأنصار فسلم على النبى ﷺ فقال يا رسول الله : أى المؤمنين أفضل ؟ قال: " أحسنهم خلقا ، قال : فأى المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعدهم استعداداً أولئك الأكياس . أخرجه مالك أيضاً .

وروى الترمذى عن شداد بن أوس قال : قال النبى ﷺ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله .

وقال السدى فى قوله تعالى: الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا أى أكثركم للموت ذكراً، وله أحسن استعدادا ومنه أشد خوفاً وحذراً . وأعلم أن ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية، والتوجه فى كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية ، فإن كان الإنسان فى حال ضيق ومحنة ، فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه ، فإنه لا يدوم ، والموت أصعب منه ، أو فى حال نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها ، والسكون إليها وكان يزيد الرقاشى يقول لنفسه .

ويحك يا يزيد ، من ذا يصلى عنك بعد الموت ؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضى عنك بعد الموت؟ ثم يقول : أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقى حياتكم؟ من الموت طالبه والقبر بيته ، والتراب فراشه والدود أنيسه ، وهو على هذا ينتظر الفزع الأكبر

كيف يكون حاله ، ثم يبكى حتى كأن بين أيديهم جنازة .

وقال أبو نعيم : كان الثورى إذا ذكر الموت لا ينتفع به أياماً فإن سئل شئ قال لا أدرى لا أدرى ، وقال أسباط : ذكر عن النبى ﷺ رجل فأثنى عليه فقال عليه السلام : كيف ذكره للموت ؟ فلم يذكر ذلك عنه . فقال : ما هو كما تقولون .

وقال الدقاق : من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء : تعجيل التوبة ، وقناعه القلب ، ونشاط العبادة ، ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء : تسويف التوبة ، وترك الرضى بالكفاف ، والتكاسل فى العبادة ، فتفكر يا مغرور فى الموت وسكرته ، وصعوبة كأسه ومرارته ، فيا للموت من وعد ما أصدقه ، ومن حاكم ما أعد له ، كفى بالموت مقرحاً للقلوب ، ومبكياً للعيون ، ومفرقاً للجماعات، وهادما للذات ، وقاطعا للأمنيات ، فهل تفكرت يا ابن آدم فى يوم مصرعك ، وانتقالك من موضعك ، وإذا انتقلت من سعة إلى ضيق ، وخانك الصاحب والرفيق ، وهجرك الأخ والصديق ، وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر ،

فيا جامع المال ، والمجتهد فى البنيان ليس لك والله من مال إلا الأكفان ، بل هى والله للخراب والذهاب وجسمك للتراب والمآب ، فأين الذى جمعته من مال ؟ فهل أنقذك من الأهوال ؟ كلا بل تركته إلى من لا يحمدك ، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك .

قال الحسن البصرى : إن قوما ألهتهم الأمانى حتى خرجا عن الدنيا ومالهم حسنة ويقول أحدهم : إنى أحسن الظن بربى ، وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل ، وتلا قوله تعالى : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) ﴾ [سورة فصلت : الآية ٢٣]

ما يذكر الموت والآخرة ويزهد فى الدنيا

روى مسلم عن أبى هريرة قال : زار النبى ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، فقال : استأذنت ربى أن استغفر لها فلم يؤذن لى واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى ، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت ، وعن ابن

ماجة عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها ، فإنها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة،

وزيارة القبور للرجال متفق عليها عند العلماء ، مختلف فيه للنساء .

وروى عن على بن أبى طالب (رضى الله عنه) أنه خرج إلى المقبرة فلما أشرف عليها قال : يا أهل القبور أخبرونا عنكم ، أو نخبركم ، إما خبر من قبلنا : فالمال قد اقتسم ، والنساء قد تزوجن ، والمساكن قد سكنها قوم غيركم ، ثم قال : أما والله لو استطاعوا لقالوا : لم نر زاداً خيراً من التقوى .

كيف ترق القلوب القاسية

قال العلماء رحمة الله عليهم : ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور خاصة إن كانت قاسية فعلى أصحابها أن يعالجوها بأربعة أمور :

أحدها : الإقلاع عما هى عليه بحضور مجالس العلم

بالوعظ والتذكر ، والتخويف والترغيب ، وأخبار الصالحين، فإن ذلك مما يلين القلوب وينجع فيها .

الثانى : ذكر الموت فيكثر من ذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات .

يروى أن امرأة شكت إلى عائشة (رضى الله عنه) قساوة قلبها . فقالت لها : أكثرى من ذكر الموت يرق قلبك، ففعلت ذلك فرق قلبها ، فجاءت تشكر عائشة (رضى الله عنها) .

قال العلماء : تذكر الموت يروع عن المعاصى ، ويلين القلب القاسى، ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب فيها .

الثالث : مشاهدة المحتضرين ، فإن فى النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ، ونزعاته ، وتأمل صورته بعد مماته ، ما يقطع عن النفوس لذاتها ، ويطرد عن القلوب مسراتها، ويمنع الأجفان من النوم ، والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل ، ويزيد فى الاجتهاد والتعب .

يروى أن الحسن البصرى دخل على مريض يعوده

فوجده فى سكرات الموت فنظر إلى كربه ، وشدة ما نزل به ، فرجع إلى أهله ، بغير اللون الذى خرج به من عندهم فقالوا له : الطعام يرحمك الله . فقال : يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم ، فوالله لقد رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه .

وزيارة القبور تبلغ فى دفع ذلك ما لا يبلغه الأول والثانى والثالث .

آداب زيارة القبور

ينبغى لمن عزم على الزيارة أن يتأدب بآدابها ، ويحضر قلبه فى إتيانها ، ويقصد بزيارته وجه الله تعالى ، وإصلاح فساد قلبه، ويجتنب المشى على المقابر ، والجلوس عليها إذا دخل المقابر ويخلع نعله ، ويسلم إذا دخل المقابر ويخاطبهم خطاب الحاضرين ، فيقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإذا وصل إلى قبر ميته الذى يعرفه سلم عليه أيضا فيقول : عليك السلام .

وليائته من تلقاء وجهه فى زيارته كمخاطبته الحى ،

ثم يعتبر بمن صار تحت التراب ، وانقطع عن الأهل والأحباب ، فليتأمل الزائر حال من مضى من أخوته ، ودرج من أقرانه ، الذين بلغوا الآمال وجمعوا الأموال ، كيف انقطعت آمالهم ، ولم تغن عنهم أموالهم ، ومحا التراب محاسن وجوههم ، وافترقت فى القبور أجزاؤهم ، وترمل بعدهم نساؤهم، وشمل ذل اليتيم أولادهم ، واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم .

وليتذكر ترددهم فى المآب، وحرصهم على نيل المطالب، وانخداعهم لمؤاتاه الأسباب، وركونهم إلى الصحة والشباب ، ويعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع والهلاك السريع كغفلتهم ، وأنه لابد صائر إلى مصيرهم ، وليحضر بقلبه ذكر من كان مترددا فى أغراضه ، وكيف تهدمت رجلاه وكان يتلذذ بالنظر إلى ما حوله وقد سالت عيناه، ويصول ببلاغة نطقه، وقد أكل الدود لسانه، ويضحك لمؤاتاه دهره وقد أبلى التراب أسنانه، وليتحقق أن حاله كحاله، ومآله كما له، وعند هذا التذكر والاعتبار، يزول عنه جميع الأغيار

الدنيوية، ويقبل على الأعمال الأخروية، فيزهد فى دنياه، ويقبل على طاعة مولاه، ويلين قلبه، وتخشع جوارحه.

مايقال عند دخول المقابر

روى أبو داود عن بريدة بن خصيب قال : قال رسول الله ﷺ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإن فى زيارتها تذكرة ، وذكر النسائى عن بريدة أيضاً عن النبى ﷺ قال : من أراد أن يزور قبراً فليزره ، ولا تقولوا هجراً بمعنى سوءاً ، وذكر أبو عمر من حديث ابن عباس عن النبى ﷺ قال : ما من رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فسلم عليه ، إلا رد عليه السلام ، وروى هكذا موقوفا عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : فإن لم يعرفه وسلم : رد عليه السلام

وروى مسلم عن عائشة (رضى الله عنه) قالت: قلت يا رسول الله: كيف أقول إذا دخلت المقابر ؟ قال: قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمتأخرين، وإنا إن شاء الله بكم

لاحقون، خرجه من حديث بريدة أيضاً. وزاد: "أسأل الله لنا ولكم العافية"، وفى الصحيحين أنه عليه السلام مر بامرأة تبكى عند قبر فقال لها "اتقى الله واصبرى". الحديث.

والصياح وضرب الخدود وشق الجيوب محرم بإجماع العلماء ، وهو الذى ورد فيه الوعيد من قوله عليه السلام : أنا برئ ممن حلق وسلق وخرق ، خرجه مسلم.

وأما البكاء من غير نياحة فقد ورد فيه الإباحة عند القبر وعند الموت وهو بكاء الرأفة والرحمة التى لا يكاد يخلو منها إنسان ، وقال عمر : دعهن يبكين على أبى سلمان ما لم يكن نقع أو لقلقة ، (والنقع وضع التراب على الرأس ، واللقلقة رفع الصوت بالنياحة).

المؤمن يموت بعرق الجبين

روى ابن ماجة عن بريدة أن النبى ﷺ قال : المؤمن يموت بعرق الجبين. خرجه الترمذى وقال فيه حديث حسن.

وروى عن سلمان الفارسى (رضى الله عنه) قال ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ارقبوا للميت عند موته ثلاثا : إن رشح جبينه ، وذرقت عيناه وانتشر منخراه ، فهى رحمة من الله قد نزلت به ، وإن غط غطيط البكر المخنوق ، وخمد لونه ، وازبد شدقاه فهو عذاب من الله تعالى قد حل به . خرجه أبو عبد الله الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول له ، وقال قال عبد الله : إن المؤمن يبقى عليه خطايا من خطاياه فيجازف بها عند الموت أى يجازى فيعرق لذلك جبينه .

وقد تظهر العلامات الثلاث ، وقد تظهر واحدة وتظهر اثنتان .

خروج نفس المؤمن والكافر وتسليم الأعضاء بعضها على بعض

خرج أبو نعيم من حديث الأعمش عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : إن نفس المؤمن تخرج رشحاً ، وإن نفس الكافر تُسل كما تسل

نفس الحمار ، وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد عليه عند الموت ليكفر بها عنه ، وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى بها .

للموت سكرات

وصف الله سبحانه وتعالى شدة الموت فى أربع آيات:

الأولى : قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة ق : الآية ١٩]

الثانية : قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ٩٣]

الثالثة : قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة الواقعة : الآية ٨٣]

الرابعة : قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) ﴾
[سورة القيامة : الآية ٢٦]

وروى البخارى عن عائشة (رضى الله عنه) : أن رسول الله ﷺ كانت بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء ، فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بها وجهه ويقول : لا إله إلا الله إن للموت سكرات ، ثم نصب يديه فجعل يقول : فى الرفيق الأعلى ، حتى قبض ومالت يده ،

وذكر أبو بكر بن أبى شيبة فى مسنده عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ قال : تحدثوا عن بنى إسرائيل ، فإنه كانت منهم أعاجيب ، ثم أنشأ يحدثنا قال : خرجت طائفة منهم فأتوا على مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت ، قال : ففعلوا ، فبينماهم كذلك إذ طلع رجل رأسه بيضاء، أسود اللون فلا شئ بين عينيه أثر السجود فقال: يا هؤلاء ما أردتم إلىّ ؟ لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن ، فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت .

وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال : حدثنا أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال : " إن العبد الصالح ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول : عليك السلام تفارقنى وأفارقك إلى يوم القيامة .

وذكر أبو نعيم الحافظ فى كتاب الحلية من حديث مكحول عن واثلة بن الأسقع عن النبى ﷺ أنه قال : والذى نفسى بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف ، وفى الخبر من حديث حميد الطويل ، عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ : أن الملائكة تكتنف العبد وتحبسه ولولا ذلك لكان يعدو فى الصحارى والبرارى من شدة سكرات الموت ، وجاءت الرواية بأن ملك الموت عليه السلام إذا تولى قبض نفسه بعد موت الخلائق يقول : وعزتك لو علمت من سكرة الموت ما أعلم ما قبضت نفس مؤمن . ذكره القاضى أبو بكر بن العربى .

وعن شهر بن حوشب قال : سئل رسول الله ﷺ عن الموت وشدته ؟ فقال : إن أهون الموت بمنزلة حسكه

كانت فى صوف ، فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف ؟ قال شهر : ولما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه يا أبتاه ؟ إنك لتقول لنا : ليتنى كنت ألقى رجلا عاقلا لبيباً عند نزول الموت حتى يصف لى ما يجد ، وأنت ذلك الرجل فصف لى الموت . فقال : يا بنى والله كان جنبى فى تخت وكأنى أتنفس من سم إبرة . وكأن غصن شوك يجذب من قدمى إلى هامتى ثم أنشأ .

يقول :

ليتنى كنت قبل ما قدا بدالى

فى تلال الجبال أرعى الوعولا

و صية عمر بن عبد العزيز

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى أناس من أصحابه يوصيهم فكان فيما أوصاهم به أن كتب إليهم :

"أما بعد : فإنى أوصيكم بتقوى الله العظيم، والمراقبة له ، واتخذوا التقوى والورع زاداً . فإنكم فى دار عما قريب تنقلب بأهلها ، والله فى عرصات القيامة وأهولها ،

يسألكم عن الفتيل والنقير ، فالله الله عباد الله ، أذكروا الموت الذى لابد منه ، واسمعوا قول الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) ﴾ [سورة آل عمران : الآية ١٨٥]

وقوله عز وجل :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) ﴾ [سورة الرحمن : الآية ٢٦]

وقوله عز وجل :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ﴾ [سورة محمد : الآية ٢٧]

فقد بلغنى والله أعلم أنهم يضربون بسياط من نار ، وقال جل ذكره :

﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١) ﴾ [سورة السجدة : الآية ١١]

وقد بلغنى - والله أعلم - أن ملك الموت رأسه فى

السماء ورجلاه فى الأرض وأن الدنيا كلها فى يد ملك الموت كالقصعة بين يدى أحدكم يأكل منها : وقد بلغنى - والله أعلم وأحكم - أن ملك الموت ينظر فى كل بيت تحت ظل السماء ستمائة مرة ، وقد بلغنى أن ملك الموت قائم وسط الدنيا فينظر الدنيا كلها برها وبرها وجبالها وهى بين يديه كالبيضة بين رجلى أحدكم ، وبلغنى أن لملك الموت أعوانا الله أعلم بعهم ليس منهم ملك إلا لو أذن له أن يلتقم السموات والأرض فى لقمة واحدة لفعل ، وبلغنى أن ملك الموت تفزع منه الملائكة أشد من فزع أحدكم من السبع . وقد بلغنى أن حملة العرش إذا قرب ملك الموت من أحدهم ذاب حتى يصير مثل الشعرة من الفزع منه . وبلغنى أن ملك الموت ينتزع روح بنى آدم من تحت عضوه وظفره وعروقه وشعره ولا تصل الروح من مفصل إلى مفصل إلا كان أشد عليه من ألف ضربة بالسيف ، وبلغنى أنه لو وضع وجع شعرة من الميت على السموات والأرض لأذابها حتى إذا بلغت الحلقوم ولى القبض ملك الموت . وبلغنى أن ملك الموت إذا قبض روح المؤمن جعلها

فى حريرة بيضاء ومسك أذفر . وإذا قبض روح الكافر جعلها فى خرقة سوداء فى فخار من نار أشد نتنا من الجيف .

وفى الخبر أنه إذا دنت ميتة المؤمن نزل عليه أربعة من الملائكة : ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى ، وملك يجذبها من قدمه اليسره، والنفس تنسل انسلال القطرة من السقاء وهم يجذبونها من أطراف البنان ورؤوس الأصابع، والكافر تنسل روحه كالسفود من الصوف المبتل.

وأعلم أن الموت هو الخطب الأفظع ، والأمر الأشنع والكأس التى طعمها أكره وأبشع ، وأنه الحارث الأهدم للذات والأقطع للراحات ، والأجلب للكريهات ، فإن أمرا يقطع أوصالك ويفرق أعضاءك ، ويهدم أركانك ، لهو الأمر العظيم ، والخطب الجسيم ، وإن يومه لهو اليوم العظيم .

ولما حضر الرشيد الموت قال : ما أغنى منى ماليه هلك عنى سلطانيه ، فمات من ليلته . فما بالك بنازل ينزل بك فيذهب رونقك وبهاك، ويغير منظرك ورؤياك ، ويمحو

صورتك وجمالك ، ويمنع من اجتماعك واتصالك ، ويردك بعد النعمة والنضرة ، والسطوة والقدرة ، والنخوة والعزة ، إلى حالة يبادر فيها أحب الناس إليك ، وأرحمهم بك ، وأعطفهم عليك ، فيقذفك فى حفرة من الأرض قريب أنحاؤها ، مظلمة أرجاؤها ، محكم عليك حجرها وصيدانها ، فتحكم فيك هوامها وديدانها ، ثم بعد ذلك تحكم منك الإعدام وتختلط بالرغام ، وتصير ترابا تطأ بالأقدام ، وربما ضرب منك إناء فخار ، أو أحكم بك بناء جدار ، أو طلى بك محس ما ، أو موقد نار ، كما روى عن على بن أبى طالب (رضى الله عنه) أنه أقى بإناء ماء ليشرب منه فأخذه بيده ونظر إليه وقال : الله أعلم كم فيك من عين كحيل ، وخد أسيل .

والروح لها حكم آخر : قال تعالى :

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤) ﴾ [سورة ق : الآية ٤]

وقال تعالى : ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَىٰ (٥١) قَالَ

عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾

[سورة طه : الآية ٥١ ـ ٥٢]

الموت كفارة لكل مسلم

روى أبو نعيم ، عن عاصم الأحول ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ الموت كفارة لكل مسلم ذكره القاضى أبو بكر ابن العربى فى سراج المريدين ، وقاله فيه : حديث صحيح حسن .

وفى الموطأ عن أبى هريرة : عن رسول الله ﷺ : من يرد الله به خيراً يصب منه ، وفى الخبر المأثور يقول الله تعالى : (إنى لا أخرج أحداً من الدنيا ، وأنا أريد أن أرحمه ، حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقما فى جسده ، ومصيبة فى أهله وولده ، وضيقا فى معاشه ، واقتارا فى رزقه ، حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فإن بقى عليه شئ شددت عليه الموت ، حتى يفضى إلىَّ كيوم ولدته أمه) . أهـ .

وهذا بخلاف من لا يحبه ولا يرضاه كما فى الخبر

بقول الله تعالى : (وعزتى وجلالى لا أخرج من الدنيا عبداً أريد أن أعذبه ، حتى أوفيه بكل حسنة عملها بصحة فى جسده ، وسعة فى رزقه ، ورغد فى عيشه ، وأمن فى سربه ، حتى أبلغ منه مثاقيل الذر ، فإن بقى له شئ هونت عليه الموت ، حتى يفضى إلىَّ وليس له حسنة يتقى بها النار).

تلقين الميت لا إله إلا الله

روى مسلم عن أبى سعيد الخدرى . قال : قال رسول الله ﷺ : لقنوا أمواتكم لا إله إلا الله ، وذكر ابن أبى الدنيا عن زيد بن أسلم قال : قال عثمان بن عفان : قال رسول الله ﷺ : إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه مامن عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة .

وقال عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) : احضروا موتاكم ولقنوهم : لا إله إلا الله وذكروهم فإنهم يرون مالا ترون.

قال الربيع : وقيل لرجل هاهنا بالبصرة يافلان قل : لا إله إلا الله فجعل يقول :

يارب قائـلـه يومـا وقد لعـبت

أين الطريق إلى حمام منجاب

قال الفقيه أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن البخال : هذا رجل قد استدلته امرأة إلى الحمام ، فدلها إلى منزله فقاله عند الموت .

ومثل هذا فى الناس كثير ممن غلب عليه الاشتغال بالدنيا والهم بها أو سبب من أسبابها .

ماجاء فى سوء الخاتمة وأن الأعمال بالخواتيم

روى مسلم عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال : إن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار ، وإن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل أهل النار .

وفى البخارى عن سهل بن سعد عن النبى ﷺ قال: إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وأنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم .

قال أبو محمد عبد الحق أعلم أن سوء الخاتمة - أعاذنا الله منها - لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، ما سمع بهذا ولا علم به - والحمد لله - وإنما تكون لمن كان له فساد فى العقل، أو اصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة، والعياذ بالله ثم العياذ بالله، أو يكون ممن كان مستقيما ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سننه ، فيكون ذلك سببا لسوء خاتمته وشؤم عاقبته، كابليس الذى عبد الله فيما يروى ثمانين ألف سنة. وبلعام بن باعوراء الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها بخلوده إلى الأرض واتباع هواه وبرصيصا العابد الذى قال الله فى حقه : .

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) ﴾

[سورة الحشر : الآية ١٦]

رسل ملك الموت قبل الوفاة

ورد فى الخبر: إن بعض الأنبياء عليه السلام قال لملك الموت عليه السلام أمالك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك ؟ قال : نعم لى والله رسل كثيرة من الإعلال والأمراض والشيب والهموم وتغير السمع والبصر فإذا لم يتذكر من نزل به ولم يثبت ، فإذا قبضته ناديته : ألم أقدم إليك رسولا بعد رسول ونذيراً بعد نذير؟ فأنا الرسول الذي ليس بعدى رسول ، وأنا النذير الذى ليس بعدى نذير، فما من يوم تطلع فيه شمس ولا تغرب إلا وملك الموت ينادى: يا أبناء الأربعين، هذا وقت أخذ الزاد، أذهانكم حاضرة وأعضاؤكم قوية شديدة ، يا أبناء الخمسين قد دنا وقت الأخذ والحصاد ، ويا أبناء الستين نسيتم العقاب وغفلتم عن رد الجواب فمالكم من نصيب .

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧) ﴾
[سورة فاطر : الآية ٣٧]

ذكره أبو الفرج ابن الجوزى فى كتاب روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق .

لا تخرج روح عبد مؤمن أو كافر حتى يبشر وأنه يصعد بها

روى ابن المبارك قال : أخبرنا حيوة قال : أخبرنى أبو صخر عن محمد بن كعب القرظى قال : إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت فقال : السلام عليك يا ولى الله ، والله يقرئك السلام ثم نزع بهذه الآية : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) ﴾ [سورة النحل : الآية ٣٢]

وقال ابن مسعود : إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال : ربك يقرئك السلام .

وعن البراء بن عازب فى قوله : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأحزاب : الآية ٤٤]

وقال مجاهد : إن المؤمن ليبشر بصلاح ولده بعده لتقر عينه .

وروى ابن ماجة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً قالوا : أخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب . أخرجى حميده وأبشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء ، فيفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقولون : فلابن بن فلان ، فيقال : مرحبا بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب . إدخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهى إلى السماء التى فيها الله تعالى .

فإذا كان الرجل السوء قال : اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث، اخرجى ذميمة وأبشرى

بجحيم وغساق وآخر من شكله أزواج ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان . فيقال : لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث . ارجعى ذميمة فإنها لا تفتح لك أبواب السماء ، فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر . خرجه عن أبى بكر بن أبى شيبة .

روى البخارى عن عبادة الصامت عن النبى ﷺ قال : قال : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، فقالت عائشة أو بعض أزواجه : إنا لنكره الموت فقال : ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شئ أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شئ أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه . أخرجه مسلم ابن ماجة من حديث عائشة وابن المبارك من حديث أنس رضى الله عنهما .

في شأن الروح وأين تصير حين تخرج من الجسد

قال أبو الحسن القابسي رحمه اله : الصحيح من المذهب ، والذى عليه أهل السنة ، أنها ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدى الله تعالى بغسالها ، فإن كانت من أهل السعادة قال لهم : سيروا وأروها مقعدها من الجنة ، فيسيرون به فى الجنة على قدر ما يغسل الميت ، فإذا غسل الميت وكفن ردت وأدرجت بين كفنه وجسده ، فإذا حمل على النعش فإنه يسمع كلام الناس من تكلم بخير ومن تكلم بشر ، فإذا وصل قبره وصلى عليه ، ردت فيه الروح وأقعد ذا روح وجسد ودخل عليه الملكان الفتانان.

كيفية التوفى للميت

فى خبر الإسراء عن ابن عباس (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال : مررت على ملك آخر جالس على كرسى، إذا جميع الدنيا ومن فيها بين ركبتيه ، وبيده لوح مكتوب ينظر فيه ، لا يتلفت عنه يمينا ولا شمالا، فقلت : يا جبريل

من هذا ؟ قال : هذا ملك الموت ، فقلت : يا ملك الموت كيف تقدر على قبض جميع أرواح من فى الأرض برها وبحرها ؟ قال : ألا ترى أن الدنيا كلها بين ركبتى ، وجميع الخلائق بين يمينى ويداى تبلغان المشرق والمغرب ، فإذا نفذ أجل عبد نظرت إليه عرف أعوانى من الملائكة أنه مقبوض ، غدوا فبطشوا يعالجون نزع روحه ، فإذا بلغوا بالروح الحلقوم ، علمت ذلك فلم يخف على شئ من أمره ، أمد يدى فأنزعه من جسده وألى قبضه .

صفة ملك الموت

أما مشاهدة ملك الموت عليه السلام وما يدخل على القلب منه من الروع والفزع ، فهو أمر لا يعبر عنه لعظم هوله وفظاعة رؤيته ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الذى يبتدى له ويطلع عليه .

روى عن عكرمة أنه قال : رأيت فى بعض صحف شيث أن آدم عليه السلام قال : يارب أرنى ملك الموت حتى أنظر إليه ، فأوحى الله تعالى إليه إن له صفات لا

تقدر على النظر إليها وسأنزله عليك في الصورة التى يأتى فيها الأنبياء والمصطفين فأنزل الله عليه جبريل وميكائيل وأتاه ملك الموت فى صورة كبش أملح قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح ، منها جناح جاوز السموات والأرض ، وجناح جاوز الأرضين ، وجناح جاوز أقصى المشرق ، وجناح جاوز أقصى المغرب ، وإذا بين يديه الأرض بما اشتملت عليه من الجبال والسهول والغياض والجن والإنس والدواب وما أحاط بها من البحار وماعلاها من الأجواء فى ثغرة نحره كالخردلة فى فلاة من الأرض ، وإذا له عيون لا يفتحها إلى فى مواضع فتحها ، وأجنحة لا ينشرها إلا فى مواضع نشرها ، وأجنحة للبشرى ينشرها للمصطفين ، وأجنحة للكفار فيها سفافيد وكلاليب ومقاريض ، فصعق آدم صعقة لبث فيها إلى مثل تلك الساعة من اليوم السابع ، ثم أفاق وكان فى عروقه الزعفران . ذكر هذا الخبر ابن ظفر الواعظ المكنى أبو هاشم محمد بن محمد فى كتاب النصائح .

وروى عن ابن عباس أن إبراهيم خليل الرحمن سأل

ملك الموت أن يريه كيف يقبض روح المؤمن فقال له : اصرف وجهك عنى فصرف ، ثم نظر إليه فرآه فى صورة شاب حسن الصورة حسن الثياب طيب الرائحة حسن البشرة ، فقال له : والله لو لم يلق المؤمن من السرور شيئاً سوى وجهك كفاه ثم قال له : أرنى كيف تقبض روح الكافر فقال له : لا تطيق ذلك قال : بلى أرنى ، قال : اصرف وجهك عنى فصرف وجهه عنه ، ثم نظر إليه فإذا صورة إنسان أسود رجلاه فى الأرض ورأسه فى السماء كأقبح ما أنت راء من الصور تحت كل شعرة من جسده لهيب نار ، فقال له : والله لو لم يلق الكافر سوى نظرة إلى شخصك لكفاه .

ملك الموت عليه السلام
هو القابض لأرواح الخلق

قال الله تعالى :

﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١) ﴾ [سورة السجدة : الآية ١١]

وروى عن ابن عمر قال : إذا قبض ملك الموت روح المؤمن قام على عتبة الباب ولأهل البيت ضجة، فمنهم الصاكة وجهها، ومنهم الناشرة شعرها، ومنهم الداعية بويلها، فيقول ملك الموت عليه السلام: فيم هذا الجزع فوالله ما أنقصت لأحد منكم عمراً، ولا ذهبت لأحد منكم برزق، ولا ظلمت لأحد منكم شيئاً، فإن كانت شكايتكم وسخطكم على فإنى والله مأمور، وإن كان ذلك على ميتكم فإنه فى ذلك مقهور، وإن كان ذلك على ربكم فأنتم به كفرة ، وإن لى فيكم عودة ثم عودة فلو أنهم يرون مكانه أو يسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم. خرجه أبو مطيع مكحول بن الفضل النسفى فى كتاب اللؤلؤيات له . وملك الموت يقبض الأرواح والأعوان يعالجون، والله يزهق الروح ، لكنه لما كان ملك الموت متولى ذلك بالوساطة والمباشرة أضيف التوفى إليه .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ (٦١) ﴾ [سورة الأنعام : الآية ٦١]

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) ﴾ [سورة الزمر : الآية ٤٢]

وقال تعالى :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) ﴾ [سورة الملك : الآية ٢]

قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨) ﴾ [سورة البقرة : الآية ٢٥٨]

الروح إذا قبض تبعه البصر

روى ابن ماجة عن أم سلمة قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ، ثم قال : إن الروح إذا قبض تبعه البصر . خرجه مسلم أكمل من هذا .

وروى مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ألم ترو الإنسان إذا مات شخص بصره ، قالوا : بلى ، قال : فذلك حين يتبع بصره نفسه . أهـ .

قوله عليه السلام : إن الروح إذا قبض تبعه البصر ، وقوله : فذلك حين يتبع بصره نفسه دليل على أن الروح والنفس اسمان لمسمى واحد .

الإسراع بالجنازة وكلامها

روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى : كان النبى ﷺ يقول : إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت : قدمونى قدمونى وإن

كانت غير صالحة قالت : ياويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شئ إلا الإنسان ولو سمعه لصعق .

هول المطلع

روى جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد .

وروى محمد ، بلغ به أنس بن مالك (أى بالسند) قال : ألا أحدثكم بيومين وليلتين لم تسمع الخلائق بمثلهم : أول يوم يجيئك البشير من الله تعالى ، إما برضاه وإما بسخطه ويوم تعرض فيه على ربك آخذا كتابك ، أما بيمينك وإما بشمالك وليلة تستأنف فيها المبيت فى القبور ولم تبت فيها قط ، وليلة تمخض صبيحتها يوم القيامة .

القبر أول منازل الآخرة

روى ابن ماجة عن هانى بن عثمان قال : كان عثمان (رضى الله عنه) إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكى من هذا ، قال: إن رسول الله ﷺ قال : إن القبر أول منازل الآخرة ،

فإن نجا منه أحد فى بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه .

قال : قال رسول الله ﷺ : مارأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه . أخرجه الترمذى .

وروى ابن ماجة عن البراء قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة ، فجلس على شفير القبر فبكى وأبكى حتى بل الثرى ثم قال : يا إخوانى لمثل هذا فأعدوا . أهـ.

يا هذا أين الذى جمعته من الأموال ، وأعددته للشدائد والأهوال ، لقد أصبحت كفك منه عند الموت خالية صفراً ، وبدلت من بعد غناك وعزك ذلاً وفقراً ، فكيف أصبحت يا رهين أوزاره ويا من سلب من أهله ودياره ؟ ما كان أخفى عليك سبيل الرشاد وأقل اهتمامك لحمل الزاد ، إلى سفرك البعيد ، وموقفك الصعب الشديد ، أو ما علمت يا مغرور أن لابد من الارتحال ، إلى يوم شديد الأهوال ، وليس ينفعك ثم قيل ولا قال ، بل يعد عليك بين يدى الملك الديان ، ما بطشت اليدان ، ومشت القدمان ونطق به اللسان ، وعملت الجوارح والأركان ،

فإن رحمك فإلى الجنان ، وإن كانت الأخرى فإلى النيران،
يا غافلا عن هذه الأهوال ، إلى كم هذه الغفلة والتوان .
أتحسب أن الأمر صغير وتزعم أن الخطب يسير ؟ وتظن
أن سينفعك مالك ، إذا آن ارتحالك، أو ينقذك مالك ، حين
توبقك (تهلكك) أعمالك ، أو يغنى عنك ندمك ، إذا زلت بك
قدمك ، أو يعطف عليك معشرك ، حين يضحك محشرك ،
كلا والله ساء ماتتوهم ولابد لك أن ستعلم ، لا بالكفاف
تقنع ، ولا من الحرام تشبع ، ولا للعظات تستمع ، ولا
بالوعيد ترتدع ، وإياك أن تتقلب مع الأهواء ، وتخبط خبط
عشواء ، يعجبك التكاثر بما لديك ، ولا تذكر ما بين يديك،
يا نائما فى غفلة وفى خبطة يقظان ، إلى كم هذه الغفلة
والتوان أتزعم أن تترك سدى ، وأن لا تحاسب غداً ، أم
تحسب أن الموت يقبل الرشا ، كلا والله لن يدفع عنك
الموت مال ولا بنون ، ولا ينفع أهل القبور إلا العمل
المبرور (المقبول) فطوبى لمن سمع ووعى ، وحقق ما
ادعى، ونهى النفس عن الهوى ، وعلم أن الفائز من
أرعوى (أقلع عن المعاصى) ، ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا

سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة النجم : الآية ٣٩ - ٤٠]

فانتبه من هذه الرقدة ، واجعل العمل الصالح لك عدة، ولا تتمن منازل الأبرار وأنت مقيم على الأوزار عامل بعمل الفجار، بل أكثر من الأعمال الصالحات. وراقب الله فى الخلوات، رب الأرض والسموات، ولا يغرنك الأمل ، فتزهو عن العمل أما سمعت الذى خلقك فسواك ، يقول :

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [سورة البقرة : الآية ١٩٧]

وروى عن الرقاشى أنه قال : سمعت شيخًا يقول : أيها الناس : إنى لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، فاعملوا فى ظلمة الليل لظلمه القبر ، وصوموا فى الحر قبل يوم النشور ، وحجوا يحط عنكم عظائم الأمور ، وتصدقوا مخافة يوم عسير .

وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه : أيها المقبور في حجرته ، المتخلي في القبر بوحدته ، المستأنس في بطن الأرض بأعماله ، ليت شعري بأي أعمالك استبشرت ، وبأي أموالك اغتبطت ، ثم يبكي حتى يبل عبائته ، ويقول ، استبشر والله بأعماله الصالحة، واغتبط والله بإخوانه المعاونين له على طاعة الله، وكان إذا نظر إلى القبر صرخ كما يصرخ الثور .

كلام القبر كل يوم وكلامه للعبد إذا وضع فيه

خرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال : دخل رسول الله ﷺ مصلاة فرأى ناساً يكشرون فقال : أما إنكم لو أكثرتم من ذكر هازم اللذات لشغلكم عما أرى - يعني الموت - فأكثروا وذكر هازم اللذات : الموت ، فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه ، فيقول: أنا بيت الغربة، وأنا بيت الوحدة ، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود، فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر . مرحباً وأهلاً أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري

إلى ، فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى بك فيتسع له مد بصره ، ويفتح له باب إلى الجنة ،

وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر : لا مرحبا ولا أهلا ، أما إن كنت لأبغض من يمشى على ظهرى إلىّ ، فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى بك . قال : فيلتئم عليه حتى يلتقى وتختلف أضلاعه ، قال: قال رسول الله ﷺ : بأصابعه فأدخل بعضها فى جوف بعض . قال : ويقيض له تسعين تنينا أو تسعة وتسعين لو أن واحداً منها نفخ فى الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا ، فتنهشه حتى يفضى به إلى الحساب . قال : قال رسول الله ﷺ : إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار. قال أبو عيسى : هذا حديث غريب.

وخرج هناد بن السرى قال : حدثنا حسن الجعفى، عن مالك بن مغول عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : يجعل الله للقبر لسانا ينطق به يقول: ابن آدم كيف نسيتنى ؟ أما علمت أنى بيت الدود، وبيت الوحدة، وبيت الوحشة .

قال وحدثنا وكيع ، عن مالك ، يقول : عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : إن القبر ليبكى ويقول فى بكائه ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الوحدة ، أنا بيت الدود .

وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا داود بن ناقد قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول : بلغت أن الميت يقعد فى حفرته وهو يسمع وخط مشيعيه ولا يكلمه شئ أول من حفرته فتقول : ويحك يا ابن آدم ليس قد حذرتنى وحذرت ضيقى وظلمائى ونتنى وهولى هذا ما أعددت لك فما أعددت لى ؟

وقال سفيان الثورى من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ، ومن غفل عن ذكرة وجده حفرة من حفر النار .

وروى عن الحسن البصرى أنه قال: كنت خلف جنازة فاتبعتها، حتى وصلوا بها إلى حفرتها، فنادت امرأة فقالت: يا أهل القبور لو عرفتم من نقل إليكم لأعزرتموه؟ قال الحسن : فسمعت صوتاً من الحفرة وهو يقول : قد الله نقل إلينا بأوزار كالجبال وقد أذن لى أن آكله حتى

يعود رميما . قال : فاضطربت الجنازة فوق النعش . وخر الحسن مغشيا عليه .

فى ضغط القبر على صاحبه وإن كان صالحا

روى النسائى عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال : هذا الذى تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة ، لقد ضم ضمه ثم فرج عنه ، قال أبو عبد الرحمن النسائى يعنى سعد بن معاذ .

وخرج على بن معبد فى كتاب (الطاعة والمعصية) عن نافع قال : أتينا صفية بنت أبى عبيد امرأة عبد الله بن عمر وهى فزعة ، فقلنا : ماشأنك ، قالت : جئت من عند بعض نساء النبى ﷺ ، فحدثتنى أن رسول الله ﷺ قال : إن كنت لأرى أن أحداً لو أعفى من عذاب القبر لأعفى منه سعد بن معاذ لقد ضم فيه ضمه .

وخرج أيضا عن زاذان أن ابن عمر قال : لما دفن رسول الله ﷺ ابنته زينب جلس عند القبر فتربد وجهه ثم سرى عنه فقال له أصحابه : رأينا وجهك يا رسول الله ﷺ تربد آنفا ، ثم سرى عنك ، فقال النبى ﷺ : ذكرت ابنتى وضعفها ، وعذاب القبر فدعوت الله ففرج عنها ، وإيم الله لقد ضمت ضمة سمعها ما بين الخافقين .

وخرج أيضا بسنده عن إبراهيم الغنوى عن رجل ، قال : كنت عند عائشة فمرت جنازة صبى صغير فبكت ، فقلت لها : ما يبكيك يا أم المؤمنين ؟ فقالت : هذا الصبى بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر .

وهذا الخبر ، وإن كان موقوفا على عائشة (رضى الله عنها) ، فمثله لا يقال من جهة الرأى .

الميت يعذب ببكاء أهله عليه

روى أبو هدبة قال إبراهيم بن هدبة ، قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : إن العبد الميت إذا وضع فى قبره واقعد ، قال : يقول أهله واسيداه

وأشريفاه وا أميراه ، قال : يقول الملك : اسمع ما يقولون: أنت كنت سيداً ؟ أنت كنت أميراً ؟ أنت كنت شريفاً ؟ قال : يقول الميت : ياليتهم يسكتون . قال : فيضغط ضغطة تختلف فيها أضلاعه .

ما يقال عند وضع الميت فى قبره وفى اللحد فى القبر

روى أبو داود عن ابن عباس (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : «اللحد لنا والشق لغيرنا» . خرجه ابن ماجة أيضا والترمذى ، وقال : حديث حسن غريب .

وخرج أبو عبد الله الترمذى فى نوادر الأصول : عن سعيد بن المسيب قال : حضرت ابن عمر فى جنازة فلما وضعها فى اللحد قال : بسم الله وفى سبيل الله ، فلما أخذ فى تسوية اللحد ، قال : اللهم أجرها من الشيطان ، ومن عذاب القبر ، فلما سوى الكثيب عليها ، قام جانب القبر ثم قال : اللهم جاف الأرض عن جنبيها ، وصعد روحها، ولقها منك رضوانا . فقلت لابن عمر شيئاً سمعته

من رسول الله ﷺ : أم شيئاً قلته من رأيك ؟ قال : إنى إذا لقادر على القول ، بل سمعته من رسول الله ﷺ . خرجه ابن ماجة أيضا فى سننه .

الشرح : قلت : (المحقق)

قوله : بسم الله لأن كل عمل ذى بال لابد أن يبدأ ببسم الله .

قوله : قوله اللهم أجرها من الشيطان ، يفهم من هذا أن للشيطان فتنة حتى بعد الدفن .

الكثيب : الكومة من الرمل .

قوله : جاف الأرض عن جنبيها: دعاء بمعنى تخفيف ضمة القبر أو بألا تأكل الأرض الجسد والجفاء البعد.

قوله : وصعد روحها : لأن روح المؤمن هى التى تصعد إلى السماء التى فيها الله أما أرواح الكفار والفجار فلا تفتح لها أبواب السماء وتلقى من حالق .

وروى عن سفيان الثورى أنه قال : إذا سئل الميت :

من ربك ؟ تراءى له الشيطان فى صورة فيشير إلى نفسه: إنى أنا ربك ، قال أبو عبد الله : فهذه فتنة عظيمة ولذلك كان رسول الله ﷺ يدعو بالثبات ، فيقول : اللهم ثبت عند المسألة منطقه وافتح أبواب السماء لروحه ، فلو لم يكن للشيطان هناك سبيل ما كان يدعو له رسول الله ﷺ أن يجيره من الشيطان .

الوقوف عند القبر قليلا بعد الدفن والدعاء بالتثبيت له

روى أبو داود عن عثمان بن عفان (رضى الله عنه) قال كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : استغفروا لأخيكم وأسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل .

وروى مسلم عن بن شماسة المهرى ، قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياقة الموت ، الحديث : وفه : فإذا دفنتمونى فشنوا على التراب شناً ، ثم أقيموا حول قبرى قدر ما ينحر جزور وتقسم لحمها ، حتى استأنس

بكم ، وانظر ماذا أراجع به رسل ربى عز وجل خرجه ابن المبارك بمعنى حديث مسلم من حديث ابن لهيعة .

نسيان أهل الميت ميتهم
وفى الأمل والغفلة

روى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ: إن مشيعى الجنازة قد وكل بهم ملك فهم مهتمون محزونون حتى إذا أسلموه فى ذلك القبر، ورجعوا أخذ كفا من ترات ومر به وهو يقول ارجعوا إلى دياركم أنساكم الله موتاكم فينسون ميتهم ويأخذون فى شرائهم وبيعهم كأنهم لم يكونوا منه ولم يكن منهم .

متى يرتفع ملك الموت عن العبد

روى أبو نعيم عن أبى جعفر محمد بن على ، عن جابر (رضى الله عنه) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن ابن آدم لفى غفلة عما خلقه الله عز وجل إن الله لا إله غيره إذا أراد خلقه ـ قال للملك : اكتب رزقه

وأثره وأجله ، واكتب شقياً أو سعيداً ، ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله ملكا آخر فيحفظه حتى يدرك ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسيئاته ، فإذا جاءه الموت ارتفع ذانك الملكان ، ثم جاءه ملك الموت عليه السلام ، فيقبض روحه ، فإذا أدخل حفرته رد الروح فى جسده ، ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان ، فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات ، فأنشطا كتابا معقولا فى عنقه ، ثم حضرا معه واحد سائق والآخر شهيد ، ثم قال الله عز وجل :

﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) ﴾ [سورة ق : الآية ٢٢]

قال : قال رسول الله ﷺ فى لتركبن طبقا عن طبق، قال : حالاً بعد حال .

ثم قال النبى ﷺ : إن قدامكم أمر عظيم ، فاستيعنوا بالله العظيم. قال أبو نعيم هذا حديث غريب من حديث أبى جعفر وحديث جابر تفرد به عنه ابن يزيد الجعفى وعنه المفضل .

وجابر بن يزيد الجعفى متروك لا يحتج بحديثه فى الأحكام .

سؤال الملكين للعبد

روى البخارى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ: إن العبد إذا وضع فى قبره، وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم آتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمداً، فإما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له: انظر مقعدك من النار قد أبدلك الله تعالى به مقعداً من الجنة فيراهما جميعا .

قال قتادة : وذكر لنا أن يفسح له فى قبره أربعون ذراعاً ، وقال مسلم : سبعين ذراعا ، ويملأ عليه خضرا إلى يوم يبعثون ثم رجع إلى حديث أنس قال : وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل : فيقول : لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس . فيقال : لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين .

الإنسان يبلى ويأكله التراب إلا عجب الذنب

روى مسلم وابن ماجة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ليس من الإنسان شئ إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عجّب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة ، وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب . أهـ.

وعجب الذنب جزء لطيف فى أصل الصلب ، وقيل رأس العصعص كما رواه ابن أبى داود فى كتاب البعث من حديث أبى سعيد الخدرى قيل : يا رسول الله ﷺ وماهو ؟ قال : مثل حبة خردل ، ومنه تنشأون . وقوله : منه خلق ومنه يركب أى أول ما خلق من الإنسان . أهـ.

ثم إن الله تعالى يبقيه إلى أن يركب الخلق منه تارة خرى .

لا تأكل الأرض أجساد الأنبياء ولا الشهداء وأنهم أحياء

قال الله تعالى :

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) ﴾ [سورة آل عمران : الآية ١٦٩]

ولذلك لا يغسلون ولا يصلى عليهم ، ثبت ذلك فى الأحاديث الصحيحة فى شهداء أحد وغيرهم .

وخرج أبو داود وابن ماجة فى سننهما عن أوس بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : إن أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علىّ قالوا : يارسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ يقولون بليت فقال : إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء . لفظ أبى داود وقال ابن العربى حديث حسن .

الفهرس

الفهرس

الفهرس

كتب صدرت عن الدار

الإسراء والمعراج للحافظ ابن كثير	للشيخ بكر محمد إبراهيم
عودة إلي طب الأعشاب	للشيخ بكر محمد إبراهيم
عظة الموت	للشيخ بكر محمد إبراهيم
الوجيز فى علم التجويد	للشيخ بكر محمد إبراهيم
خصال وأعمال يحبها الله ورسوله	للشيخ بكر محمد إبراهيم
الترغيب فى مكارم الأخلاق	.للشيخ بكر محمد إبراهيم
تحذير من الكبر وآفات اللسان	للشيخ بكر محمد إبراهيم
عجائب المخلوقات	للشيخ بكر محمد إبراهيم

رقم الإيداع بدار الكتب
١٠٨٤٥ / ١٩٩٩

دار التوفيق النموذجية للطباعة
أوفست - تحضير أوفست - كمبيوتر
ت : ٥١١٥٣٠٤